

مهدى للإفلا

٤

التفسير الموضوعي
لنهج البلاغة

الجزء الأول

السيد محمود الهاشمي

عنوان کتاب : التفسیر الموضوعی لنهج البلاغة

نام مؤلف : هاشمی شاهرودی، محمود

نام ناشر : مکتب السید محمود الهاشمی

جلد : 1

بخش: بخش 1

نام و نام خانوادگی کاربر: علاء شبستری

نام سایت : www.noorlib.ir (کتابخانه دیجیتالی نور)

تاریخ دانلود : 1394/04/02

تعداد صفحات دانلود شده: 86

محدوده دانلود : از صفحه 1 تا صفحه 86

السيد محمود الهاشمي

التفسير الموضوعي

منهج البلاغة

مركز تحقيقات كليات علوم الشريعة
الجامعة الإسلامية - مدني

کتابخانه	
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی	
شماره ثبت:	۴۷۴۴۲
تاریخ ثبت:	



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الآلهيات .. وما وراء الطبيعية



□ الراجب تعالى وصفاته

□ المعاد .. وسراج المعاد

□ عالم النيب .. ومخلوقات عالم النيب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الواجب تعالى وصفاته


* **الدلالة على الخالق**
مركز بحوث ودراسات إسلامية





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی





مركز بحوث الكمبيوتر علوم إرسودي

الكتاب : التفسير الموضوعي لنهج البلاغه
المؤلف : السيد محمود الهاشمي
اصدار : مكتب السيد محمود الهاشمي
عدد النسخ : ٤٠٠٠
المطبعة : نمونه

الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	تقديم
١٦	تمهيد
٢١	منهجية البحث
٢٥	عناوين البحث
البحث الاول	
٢٩	الالهيات وما وراء الطبيعة
٣١	لمحة تمهيدية
الباب الاول	
الواجب تعالى ومفاته	
الفصل الاول	
٣٧	الدلالة على الخالق
- اولا	
٤٣	المنهج الفطري
٥٣	✽ بداهة ظهور الباري و
٥٥	✽ المحبة وليدة المعرفة
- ثانيا	
٥٨	المنهج الاستقرائي
٦٧	تطبيقات للمنهج
٦٩	✽ معاصر الانبياء



مركز تحقيقات كليات علوم الشريعة

٧١ * تواتر الانبياء *

٧٢ * سلوكية الانبياء *

- ثالثا

المنهج الفلسفي

التقريب الاول

٧٧ دليل الامكان

التقريب الثاني

٧٨ دليل الحركة

التقريب الثالث

٧٩ دليل التكامل

حقيقتان هما الجوهر

٨١ * الحقيقة الاولى *

٨٢ * الحقيقة الثانية *

مركز بحوث وتطوير علوم إسلامية

تقديم

الحديث حول السفر الخالد ، لأمير البلاغه ، وسيد نهجها ،
حديث انتهاال واقتباس ، . انتهاال من فيض العطاء ، واقتباس
من قداسة السجل لامام صاغته السماء بامعان ، ومنحته لمجاهدات
الأرض ، ليكون أمير الهادين لسانها ولقبسها الخالد .

وقد جاءت هذه النفحات ، ترجمانا لقداسة سره وعظمة معناه ،
ذاك السر والمعنى ، الذى ارتبط بالذات الالهيه ارتباط
العاشقين ، الذين هاموا فى الحبيب الأوحى ، فكان اعتقادهم
وسلوكلهم ريانيا ، . سالما من أدران الماده ، وخبائث التراب .

وان كان ماوصل من عطاءه للرساله وللانسانيه ، غيضا من فيض ،
تناقلته الصدور الامينه ، والضامير الصالحه ، لتحفظسه من كيد
المعادين ، ولتصون الامانه ، ولترعى الثقل الكبير ، لتسعد البشره
بعدها بهذه النفحات التى تمثل معالم صادقه ، لمناحى الرساله

الالهيه ، ٠٠ فقد طوق هذا الغيظ ، - ناهيك عن الفيض -
الدنيا بعطائه ، وأعطى للحياه بعدها الحقيقي فكان القبس الذي
يدلّ السائرين لمراتب الكمال ، والشهاب الذي يخط لهم المسار
ضمن متاهات الحياه .

وعموما ، فان الحديث حول نهج البلاغه ، سفر الامام الكبير ،
يمتلك - أساسا - بعدين :

- البعد الرسالي

- البعد التربوي

أما الأول : فلعل أهم معطيات ماجادات به قريحه امامنا أمير
المؤمنين (ع) وترجمتها سيرته المباركه ، تتمثل فيما يلي :

أ - ان مجموعه خطب الامام ومواعظه وكلماته ، تمتلك بعدا
متقدما في عملية الفهم الصحيح والكامل للقرآن وللسنه
النبويه الشريفه من خلال ما تخطه من مسار واضح
للمفاهيم وتفاعلها مع الحياه .

ب - ان نهج البلاغه يعتبر بحق "ميزانا يعرض عليه ما اختلف
فيه من مسائل الشريعة والدين ، في عملية الصياغه
النهائيه للمفهوم الاسلامي الأمثل .

ج - ان نهج البلاغه ، ينظم علاقه الانسان باللّه سبحانه

وعلاقته بأخيه الانسان ، وبالوجودات الاخرى ،
عن طريق طرحه الدقيق لهذه المفاهيم والوجودات .

واما معطيات البعد الثانى (التربوى) فلعلها تتمثل فى :

أ - يعطى التصور الكامل لخطوط التربيـه فى النفس
والمجتمع من خلال عرضه المتكامل لكل جزئيات المفاهيم
الحياتيه المؤثره فى المسيره الانسانيه .

ب - يحدد صيغه كل مسلك من مسالك الصلاح والاستقامه ،
ويدلّ السائرين على مدخلها ، لترتسم بين يـدي
الانسان فى خاتمه العطف الصوره الحقه لجميع مناحى
الحياه ، ولكل دروبها الخيره أو المنحرفه ، ولتكون
عمليه الاختيار بعد هاميسوره ، فلامجال عندها للباس
فى الظهور على مسرح الحياه .

ج - يمثل - بما يمتلكه من عطاءات - دستور عمل ، ووثيقه
ينهجها كل الراغبين فى بلوغ منازل العلياء ، ومراتب
الكمال ، لجليل ماتضمنه من مناهج للبحث ، لمفاهيم
اختلفت عندها الانسانيه ، وزهبت مناحى عديده فى
فهمها لها .

وما تقدم لا يعدو فى الحقيقه سوى الواضح ، من عمليه الفهم
والاستلهام ، وهو بعد جزء ضئيل مما قدّر لبنى البشر استنباطه من

بين ثنايا هذا الكتاب الكبير ولا عجب ، فهو الأثر العظيم ، والتركة
الخالده لأعظم انموذج صاغته السماء ، بعد رسولها المؤيد
محمد (ص) ، . . . ذلك الانموذج الذي جسّد الاسلام والايمان في
تعامله مع مفردات الطبيعه والوجود ، وحقائق وأنوار ما وراء الوجود .
اننا يجب أن نتعامل مع نهج البلاغه بهذا النفس ، انه الكتاب
الخالد ، الذي يهدي لسبل الصلاح والاستقامه ، والمتمم لعمليه
الفهم للقرآن والسنة وهو بالتالي الامتداد الحق لتعاليم السماء
السمحه .



لقد أوضحت محاضرات سماحه السيد محمود الهاشمي هذه
أبعادا متقدمه في عمليه الاستلهام من هدى نهج البلاغه ، وسلطت
الاضواء على جوانب مهمه من موضوعاتها ، حول فكره وجود اللّٰه
سبحانه وتعالى وصفاته ، والانسان والحياه والتأريخ ، . . .
ولقد رأى النور ، القسم الأول من محاضرات سماحته ، . . .
وسيتابع البحث في الموضوعات الأخرى ، معتمدا المنهج الموضوعي في
التفسير والتناول ، دون المنهج التجزيئي .
وكلنا أمل ، أن تستعيد الأمة شخصيتها الرساليه المميزه ، عن
طريق مطالعتها واهتمامها لفصول فكر وتوجهات إمامنا أمير
المؤمنين (ع) .

فلقد انبعثت هذه الأمة من جديد ، لتشهد نهضة حضاريه
كبرى ، ستكون معلما لكل الشعوب المتخبطه في ظلمات الجهل
والانحراف ، ومنارا صادقا يدلّ القوافل الحائره لبنى الانسان
لمواطن العدل والسعاده . . .

ومن اللّٰه نستمد العون ، وهو ولى التوفيق

مكتب السيد محمود الهاشمي



تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على سيد الخلق ،
وخاتم النبيين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين .
ان كتاب نهج البلاغه ، الكتاب الخالد بعد القرآن الكريم ، والسنة
النبويه ، يتلوهما في القصد والمنزله ، سواء في عمق محتواه ومضامينه ،
أو في روعة نهجه وأدبه واسلوبه ، أو في تمكنه وقدرته الفائقه على صنع
الانسان والانسانيه ، وتغييرها وتربيتها ، وفق اراده السماء .
ولعمري ان العقل الانساني ليختار أمام عظمة هذا السفر
المجلل ، ويستشعر الضالّه والحوال قبال مسالكة وآفاقه الرحبه ،
وأغواره الواسعه ، ويدرك العجز أمام هدى الوحي العظيم الذي
استقى منه صاحب النهج ، فصاغ منه دروس البلاغه ، ومناهج حياة
الانسانيه الحائره الخاسره ، لولا لطف السماء بها ورعاية الله لها من
خلال أنبيائه وأوليائه بشكل عام ، والصفوه من خيرته المنتخبين
محمد وعترته الطاهرين بشكل خاص .

ومدرسه نهج البلاغه كمدرسه القرآن الكريم ، مدرسه تربيه وهدايه للبشرية ، وصنع لبنى الانسان ، تسعى لاعدادهم من أجل تجسيد مبدأ الخلافة العظمى فى الأرض . ومن هنا كانت موضوعات هذه المدرسه ومناهجها تربويه وحضاريه ، تناجى الروح البشريه ، وتناغى العقل الانسانى وترفع الحجب عن القلوب ، لتشاهد الحقائق الكبرى ، وتبصر النور الذي هو سر الوجود وجوهره .

فهى ليست دروسا فنيه تجادل المصطلحات أو التنظيرات العلميه ، التى وضعتها العقول البشريه للتعبير عن لغتها ورؤيتها المحدوده ، كما انها لا تبحث عن القوانين الطبيعيه التى لا بد ان يهتدي اليها الانسان بشكل طبيعى من خلال معاناته مع الطبيعه ، وتجربته لنواميسها ، وانما هى دروس المعرفة الحقيقيه ، ومناهج صنع الكمال الانسانى .



ولا بد من الاشاره هنا ، الى أن نهج البلاغه ، لم يكن كتابا قد وضعه مؤلفه على شكل تأليف متناسق الاجزاء ، مترابط الجوانب ، دفعه واحده ، وانما هو مجموعه خطب وكلمات ورسائل ، صدرت عن الامام (ع) ، خلال سنين عديده من عمره الشريف ، وحياته الاجتماعيه والسياسيه ، التى عاشها وتحمل فيها ماتحمل من صنوف البلايا ، وواجه ماواجه من ألوان المحن والمصائب الاجتماعيه والسياسيه ، وهو

يكافح في كل ذلك ، ويجهد في تأسيس معالم الاسلام ، وترسيخ دعائمه ، وصيانة تجربته عن الانحراف الخطير الذي بدأ يهدده بعد رحيل صاحب الرساله العظيم محمد (ص) .

ورغم ذلك ، نجد أن الخطب والمواضيع التي صدرت عن الامام ، وفي مناسبات شتى ، ومراحل مختلفه من حياته ، ذات منهج موضوعي موحد ومتناسق ، ليس فيها أدنى اختلاف ، بين أولها وأوسطها وآخرها ، بل كلها تعبر عن تلك الروح الريانيه الكبيـره الفريده ، وبمنزله واحده من السمو والرفعه والاعجاز ، . . . نسجه ونسقه واحد ، لا تجد فيه اختلافا لافي تصويره للمفاهيم والمبادئ ، ولا في وحدة الهدف والغايه له ، بل يشترك في وحدة الموضوع ، ووحدة الهدف ، ويستعمل نسقا واحدا في صياغته للفكره ، ويعتمد ذات الخيوط في نسجه لمفرد ة تربويه أو اصلاحية أو رسالية .



وبالرغم من ان شيعة أهل البيت (ع) ، هم الامتداد الطبيعي لعدرتهم المباركه ، والفروع الاصيله لتلك الشجره الطيبه ، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، . . . الا ان قدر هذا الكتاب الكبير ، لا يزال مجهولا عندنا أيضا ، ولعله أصبح مهجورا في بعض الاوساط ، ولدى بعض الطبقات ، مع ان هذا الكتاب الخالد ينبغي أن يحظى وان يُتلقى بالتداول

والتدريس ، وتعلم مضامينه والغور فيها ، لاستخراج كنوزه وآلياته كما حدث ذلك الى درجة ما وان لم يكن بالمستوى المطلوب بالنسبة الى القرآن الكريم .

ولعمري ان كتاب نهج البلاغه ، وحده ليكفي عند طرحه وتبيين مافيه ، وتوضيح معالمه بصورة صحيحة ، ان يشكل أقوى دليل ودليل موضوعي على عظمة صاحبه وامتيازه ، وعلى امامته وعصمته ، فان ما جاء فيه من جليل المعاني ، التي هي امتداد لمعاني القرآن ، وتفسير لسرها وجوهرها لكفيل باثبات انه فوق كلام المخلوقين ، ودون كلام الخالق ، وانه لا يمكن أن يصدر إلا من مصدر فوق طاقة عقل الانسان الاعتيادي فهو مستقى من مصدر الوحي والسما ، وينبئ عن عالم الغيب ، والسرّ الالهي الكبير ، وبذلك يشكل دليلا عمليا أيضا على صحه انتساب مافى هذا الكتاب ، ولو اجمالا ، الى الامام (ع) ، علاوة على الادله والمصادر التاريخية التي لا مجال للتوسّع في استعراضها وبحثها .





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



منهجية البحث

مركز بحوث الكمبيوتر في علوم التربية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الاستفاده من نهج البلاغه يمكن أن تكون في منهجين :

أولاً - المنهج الموضوعي

ثانياً - المنهج التجزيئي

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

فيمكن الاستفادة من عطاءات نهج البلاغه ، استفادة موضوعيه ، بأن تقسم الموضوعات والأبحاث التي يتعرض لها الامام (ع) في نهج البلاغه الى مواضيع متعددة ومختلفه ، ويبحث في كل موضوع بشكل مستقل ، ويحاول تجميع كلمات الامام (ع) التي قالها ضمن خطب وكتب ومواظ متعددة حول ذلك الموضوع ، فتخرج ويستفاد منها تلك النظرية الموضوعيه في مختلف الحقول والمجالات .

أما الاستفادة الثانيه ، أن تؤخذ كل خطبة بالتفسير ويبين ما فيها من الحكم والمعارف . وقد رجحنا المنهج الموضوعي في عمليه

التفسير والاستفاده والاستفهام من هدى هذا الكتاب الخالد ، بما
يتمتع به من ايجابيه وسعه .





عناوين البحث

مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

انطلاقاً من المنهجية الموضوعية في تناول عطاءات نهج البلاغه ،
يمكن تصنيف هذه مواضيع رئيسيه تأخذ صفه البحث في عرضها وبيانها،
وهذه المواضيع هي :



- آلهيات وما وراء الطبيعة .
- العباده والسلوك الى الله .
- الانسان والمسؤوليه .
- الرسول والرساله .
- الامامه والخلافه .
- الاسلام والشرايع .
- المواعظ والاخلاق .
- السنن التاريخيه .

- أمور السياسة والرعيه واداره الحكم
- الاخبار عن الغيبيات تحت عنوان العلاج

ما تقدم جزء من عمليه الاستلهام المندرجه ضمن الاستفاده الموضوعيه لنهج البلاغه ، وهناك العديد من الابواب تدخل ضمن هذه العناوين العامه . سنتعرض لبيانها بشكل تفصيلي ان شاء الله تعالى :



البحث الأول



الالهيات .. وما وراء الطبيعة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لمحة تمهيدية

يتعرض الامام فى هذا الباب الى فكرة اثبات وجود الله سبحانه وتعالى والى صفاته وعدله وعظمته وقدرته ، وكيفية خلقه للعالم . ويتعرض لعالم الغيب وعالم الملائكة . . عالم الموت وما بعد الموت . . . عالم الحساب . . . عالم المعاد . . . عالم الجنة والنار ، ويتعرض الى كثير من الشؤون المرتبطة بما وراء الطبيعة بعالم الغيب .

ولعل الامام (ع) فى كل خطبة يبدؤها بشيء ما يرتبط بالالهيات ، وهذا التأكيد من لدن الامام (ع) فى توضيح مسائل الغيب وخصوصياته يأتى فى الوقت الذي كان مستوى ادراك الامم لهذه المسائل ادراكا (منخفضا) ، فالامام كان يعيش فى وسط قد مضى على نزول الوحي فيه مده وجيزه ، لم تكف لقمع جذور الوثنييه فيه ، فالفترة الزمنية التى عاشها رسول الله (ص) ، كانت حيلسى بالاحداث السياسيه والاجتماعيه والعسكريه ، لم تكتمل الصورة بشكلها الكامل لدى الذهنيه العامه حول الله سبحانه وتعالى وعوالم الغيب ،

نعم مسجوع الطليعيين الرساليين ممن تتلمذوا واهتموا بالتلمذه على يد رسول الله (ص) ، لعلمهم ادركوا الحقيقه واستطاعوا ان يتعرفوا على النظرية القرآنيه عن الله سبحانه وتعالى ، وعن صفاته ، وانه ليس كمثله شئ ، وانه ليس بجسم ، الا ان عموم الناس والاقوام التي كانت تدخل في الاسلام شيئا فشيئا كانت لاتزال رواسب الوثنييه والشرك مرتكزه في نفوسهم وعقولهم .

من هنا جاء تأكيد الامام وتوضيحه لمعالم التوحيد الحق ، خوفا على الذهن البشري من أن ينتكس كما انتكس من قبل ، فالديانات المسيحيه واليهوديه وغيرها ، كانت قائمه في مناطق تعبر عن قمم الحضاره ، وقد انتكست في هذه النقطه ، فاليهود يرون العزيز ابن الله ، مع ان ديانتهم ورسالتهم سماويه حقه ، اوضحت كل شئ ، مع ذلك لم يستطع الفكر اليهودي ان يتحرر من النزعه الجسميه الماديه ، وتشبيه الله سبحانه وتعالى بالمخلوقات ، وقد انتهى الامر ببعضهم ان يطلبوا من موسى (ع) ، أن يجعل لهم إلهة كآلهه الوثنيين والمشركين .

والمسيحيه كذلك ، لم يمكنها أن تتخلص أو تتحرر من هذه النزعه ، فاعتقدت بالاقانيم الثلاثه ، اعتقدت بان الله ثالث ثلاثه وان لله انا هو المسيح عيسى ابن مريم (ع) .

ان الذهن البشري لم يستطع ان يتخلص أو يتحرر من التمثيل

الحسى المادي التجسيى ، ولعل هذا التأثير ينشأ من النزعه
الماديه للانسان ، كون بدايته بدايه ماديه جسمانيه ، فيحاول تشبيه
كل شئ بالاشياء التى ألفها فى وضعه المادي .

ولم يصب هذا الداء الديانات فقط ، بل أصاب حتى الفلسفات
الراقيه ، فالفكر والفلسفه الاغريقيه واليونانيه ، التى تعتبر فلسفه
متكامله لم تتخلص من الاوهام ومن التجسيمات والتشويهاات والمراتب
التى وضعتها للخالق .

اذا فما قام به الامام (ع) فى هذا المجال - الالهيات -
كان له الدور الكبير ، فى عمليه الصيانه للذهنيه البشريه من ان تنحرف
ضمن متاهات التشبيه المادي وكان لكلماته الأثر الكبير فى تثبيت
الفكر البشري على هذا المستوى الرفيع من المعرفه بالخالق ، هذا
المستوى الذى نعرفه اليوم وتعرفه مدارس التوحيد فى العالم .

نحن مد ينون ، والفكر الانسانى مدين الى الامام (ع) فى
تحرره من عوالم الشرك والضلال ، فعندما تراجع الفلسفه الاسلاميه ،
والفكر الكلامى نجد ان مدارس الفلسفه كلها تنتهى الى الامام (ع) .
فلقد كان (ع) المعلم الأول للمسلمين بعد القرآن الكريم والرسول (ص)
وهو الذى ثبت أصول التوحيد ، وأسس الفلسفه الالهيه الصحيحه .
فليس غريباً على ضوء هذا التحليل ، أن نجد نهج البلاغه ،

يؤكد كثيرا على تنزيه الله سبحانه وتعالى وعلى وصفه بصفات الكمال والجلال ، وعلى نفى التجسيم والتحديد له ، لما يخشاه على الذهن الانساني من أن ينتكس . فعملية افهام البشريه بهذه الحقائق ليست بالسهله ، ويصعب على البشريه تصور عالم الغيب ، وفهم نواميس عالم الغيب ، ولذلك كان الامام (ع) يعانى عندما كان يريد ان يشرح هذه المقولات ، ويوضح هذه المفاهيم الغيبية للامه .



نكتفى بهذه اللوحه العامه عن مدى أهميه هذا الموضوع ، وكيف ان الامام (ع) كان حريصا على تعميق هذا الجانب بالذات فسمى الضمير الانساني بشكل يمنع ويصونه في المستقبل من أن ينتكس من جديد ، وينتهي الى ما انتهى اليه أصحاب الديانات الحقه ، فضلا عن أصحاب المدارس الفلسفيه ، وهذا الموضوع - الالهيات وما وراء الطبيعه - بذاته يمكن تقسيمه وتصنيفه الى عدد من المواضيع تدخل ضمن هذا الاطار العام نذكر منها :

- الواجب تعالى وصفاته .
- عالم الغيب ومخلوقات عالم الغيب .
- المعاد ومراحل المعاد .

وسنتناول هذه المواضيع الثلاثه المتقدمه ، بالبحث والتفصيل .

الباب الاول

الواجب تعالى وصفاته



ويشتمل على عدة فصول كالتحقيق في أصول الدين ودراسة

الدلالة على الخالق

توحيد الله

تنزيه الله عن صفات المخلوقين

العدل الالهي

القدرة الالهية وكيفية خلق العالم



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الأول


الدلالة على الخالق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

يتعرض الامام (ع) في نهج البلاغه الى موضوع اثبات الصانع والدليل على وجوده سبحانه وتعالى اجمالا واشارة ، أي انه لا يتوسع في سرد الادله على اثبات الله سبحانه وتعالى ، بل يقتصر على الاشارة " في الواقع " الى مناهج الاستدلال لاثبات الصانع ، باستثناء منهج واحد يستخدمه كثيرا ، ويشير اليه في أكثر من خطبه وكلام وهو المنهج الاستقرائي .

بالنسبة الى اثبات الصانع ، هناك ثلاثة مناهج يمكن للذهن البشري أن يستدل من خلالها على وجود الله سبحانه وتعالى ، وهي :

- ١ - المنهج الفطري .
- ٢ - المنهج الاستقرائي .
- ٣ - المنهج الفلسفي .

هذه هي مناهج الذهن البشري لاثبات الله سبحانه وتعالى ، ونحن نستطيع من خلال سيرنا في آفاق نهج البلاغه ، أن نلمس تلميحات الى هذه المناهج الثلاثة ، وهي على مستوى اشارات ، لاعلى مستوى بحوث اصطلاحيه ، فالامام لا يستخدم الاصطلاحات التي يستخدمها علماء الكلام مثلا ، أو الفلاسفه لاثبات الصانع ، لان نهج البلاغه لم يكن كتابا علميا بهذا المعنى ، أو فلسفيا كلاميا ، انما كان مجموعه نثبات ونفحات ربانيه وروحانيه صدرت على لسان الامام (ع) أو من خلال قلمه المبارك عندما كان يكتب عماله وولاة البلاد الاسلاميه ، ثم بعد ذلك نقلت من خلال الروايات والمأثورات ، فجمعها الشريف الرضى ، لتشكّل ماده نهج البلاغه .

مركز تحقيق التراث الإسلامي

ومن الواضح ان الامام عندما يخاطب الامه ، لا بد وان يخاطبها بمقتضى المناسبه التي من اجلها يريد ان يتكلم ، فهو يراعى مستوى ادراك الامه وفهمها ، وكذلك مشاعرها ، من هنا كان لا يتكلم بلغه الاصطلاحات العلميه والكلاميه والفلسفيه ، الا ان روح المطلب تكون موجوده في كلامه ، دون أساليب الاداء والتعبيرات العلميه .
اضافه الى نكته اخرى ، وهي نكته مشتركه بين القرآن الكريم والسنة النبويه الشريفه ونهج البلاغه ، وهي ان الانبياء والأئمه وكل الريانيين ، لم يكن همهم وهدفهم نشر العلوم وتفصيل المسائل

العلميه والنظريه فى أى حقل من الحقول ، بل كان هدفهم نشر
العرفان ، وصنع الانسان ، وجعله يتعرف على الحقائق الكبرى بروحه
وبصيرته وفطرته .

لم يكن الانبياء والأئمة متخصصين وفلاسفه ، بل كانوا رجسالا
هداياه وعرفان وصلاح ، ولم يكن هؤلاء علماء بمعنى يعلمون الناس
الفلسفه أو مصطلحات الفلسفه البيزنطيه أو الاغريقيه أو فلسفه المشاء ،
أو الفلسفات الاخرى ، بل كانوا يبغون صنع الانسان من الداخل بما
يجسد خلافته لله سبحانه وتعالى فى الارض .

فاذا كان نهج البلاغه كتاب صنع وهداية وعرفان للانسان ،
فحينئذ لا ينبغى ان نتوقع " ان نواجه " فى كلمات الامام (ع) نفس
المصطلحات الفلسفيه أو الكلاميه ، التى نجدها فى علم الكلام أو أى
علم آخر ، الا أن روح الأدله ، وروح هداية الانسان الى المعرفه
الحقه ، والى الله سبحانه وتعالى ، موجوده فيه . يعنى ما يكسون
واقعا وبالحمل الشائع ، باصطلاح الاصوليين مما يوصل الناس الى
الايمان بالله سبحانه وتعالى والتصديق به ، والاذعان لعظمته
وتوحيده وتنزيهه فى صفاته واسمائه عن صفات المخلوقين . روح هذه
المسائل ، وروح هداية الانسان ، وايصالها الى هذه الدرجه من
الكمال ، نجدها فى نهج البلاغه .

اذا واقع وروح هذه الأدله ، موجودان فى نهج البلاغه رغم ان

المصطلحات والصيغات والأدبيات العلمية والكلامية والفلسفية غير
موجوده ، فبرهان الدور والتسلسل لانجده في القرآن الكريم ولا في
نهج البلاغه لان هذا العنوان اصطلاح خاص ، أو برهان النظم
لا يكون موجودا ، ولكن واقع التأكيد على بدائع صنع الله سبحانه
وتعالى ، وشرح آياته الجليله في الخلق ، نجده في القرآن الكريم
وفي نهج البلاغه ، فهو ينبه الذهن البشري ، ويأخذ بالفهم
والادراك الانساني ، ويجعله يبصرويشاهد آيات الاعجاز في الكون
وفي الخلق وفي الوجود فيؤمن ويذعن بوجود الله القادر المتعال .
بعد هذا العرض السريع تأتي لبيان الأدله الثلاثه لاثبات
وجود الله تبارك وتعالى ، وكيف أن الامام (ع) يتعرض الى حقيقه
ذلك الوجود من خلال خطبه وكلماته .



المنهج الفطري

يعتبر المنهج الفطري ، من أقدم وأسهل ألوان الاستدلال والاثبات على الصانع سبحانه وتعالى ، ويراد به ، ان الانسان بحسب فطرته ، وبحسب ذاته ، له ادعان ، وله يقين وتصديق ذاتي بوجود الله سبحانه وتعالى ، وان هناك مبدأ فوق نفسه ، فوق صاحب الفطره ، هذا المبدأ هو الذي خلق هذه الفطره ، وما يظهر من آثار الخلق ، ما هي الا افاضات منه جل شأنه ، وان هذا الصانع قد أودع في الذات الانسانيه الايعان به ، والتصديق والاقرار له بالربوبيه .

والقرآن الكريم يشير الى هذه الحقيقه ((واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أكست بربكم قالوا بلى شهدنا)) وفي الروايات الصادره عن الأئمه (ع) ، جاء في تفسير هذه الآيه ، ان الله سبحانه وتعالى أخرج من ظهر آدم ذريته الى يوم القيامه وخرجوا كالذر ، فعرفهم نفسه وأراهم صنعه ،

ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه .

ومن الروايات الصادرة عن النبي (ص) قوله : (كل مولود يولد على الفطرة) .

وقد فسرت هذه العبارة من قبل الائمة (ع) بان المولود يولد على معرفه الخالق .

اذا فالايمن بالله سبحانه وتعالى ، والاقرار له بالربوبيه ، اقرار مودع في فطره كل انسان ، وان هذه الفطره قد أخذ منها الميثاق على ذلك .

وفي الامكان الاستفاده من هذا الدليل لاثبات الصانع جلّ شأنه ، بأحد نحوين :

النحو الأول - من خلال التجربه الوجدانيه الشخصيه
للانسان ، فان كل انسان يمر في حياته بوجالات وجدانيه خاصه ، تتجلى فيها فكرة وجود الله سبحانه وتعالى لفطرته وتحدث عنده حاله اليقين والجزم الفطري بوجود الله سبحانه وتعالى وتلك الحالات كثيرا ماتحصل لدى الانسان في موارد الضيق والعجز والخوف ، حيث يتوجه الى مبدأ كامل قادر فوقه وتحصل لديه حاله فطريه من الايمان بالله سبحانه وتعالى .

هذا اللون من التجارب الوجدانيه والشخصيه يشير اليها القرآن الكريم في موارد عديده ، في وصف حالات الانسان وخصوصا الكفار

فيقول ان هؤلاء الذين يكفرون ويجدون هم أيضا في حالات معينه
عندما تنعدم لديهم الاسباب والحيل يتوجهون الى الله سبحانه
وتعالى ويؤمنون ويتيقنون به . ومن تلك الحالات ابتلاؤهم بالغرق
في اليم ، حسب الاشاره القرآنيه ، حيث انهم في خضم تلك الحاله ،
وحيث انعدام الوسائل والحيل وسبل النجاه والخلص لديهم ،
يتوجهون الى الله سبحانه وتعالى توجهها فطريا ، ليلتمسوه بالخلص ،
فلما نجاهم الى البر ، حيث الطمأنينه والخلص فاذا هم ينسون تلك
التوجهات والدلالات التي كانت مثاره في انفسهم ، (فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الذين فلما نجاهم الى البر اذ هم
يشركون) . (العنكبوت : ٦٥)

حالات عجز الانسان وانعدام الوسيله لديه في الحياه ، تشير في
نفسه هذه الفطره ، وتشعره وتلح عليه ، بان هناك مبدأ فوق هذه
الظواهر والمسميات ، يمكنه ان ينجيه ويرفعه عن مستوى هذا البلاء .
كما ان درجه نقاء الفطره الانسانيه ، قد تكون متقدمه ، مالم
تدنس هذه الفطره بفعل الخبائث والأدران الدنيويه .

قد تبقى - الفطره - بدرجه من النقاء والسلامه ، دون ان
تتناولها أيدي الانحراف ، فتقضى على الوجه المشرق لها ، ولتفسد
فيها معاني الصلاح والاستقامه . . .

الفطره مالم تدنس ، تبقى بنفس الحاله من الطهر ونفس الحاله

من الدلالة على وجود الله سبحانه وتعالى ، أي تبقى فطره إلهيه ،
سماويه لم تتلوث بحالات التراب ، . . .

والقرآن الكريم يشير الى حقيقه أن الفطره الانسانيه تدعن
بوجود الله سبحانه وتعالى ، تلقائيا ، ومن نفسها ، دون الحاجه
الى الاستدلال ، لان الميثاق قد أخذ منها حين خلقها ، . . .

(واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم
على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم
القيامة اتاكمنا عن هذا غافلين) (الأعراف : ١٧٢)

والامام على (ع) - في نهج البلاغه - يشير الى هذه الحقيقه
أيضا ، ان الفطره بذاتها تدرك الحقيقه الالهيه ، وتتذكر ما أخذ
منها من الميثاق ، من قبيل ما جاء في خطبة الانبياء ، وهي من
جلائل الخطب ، يقول الامام (ع) :

(فبعث فيهم رسله ، وواتر اليهم أنبياءه ، ليستأدوهم
ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته)

هنا يشير الامام (ع) ، ان الفطره الانسانيه لها ميثاق مع
الله سبحانه وتعالى ، هذه الفطره التي خلقها وأوجدها في الذات
الانسانيه ، قد أعطت ميثاقا لله سبحانه وتعالى . يأتي الأنبياء (ع)
ليأخذوا ميثاق الفطره ويستأدوه ، ويذكروها . . . بأنك أيتها الفطره

قد أعطيت هذا الاذعان والاقرار لله سبحانه وتعالى حين خلقك
لكنك قد نسيت ذلك ، نتيجة ما ابتليت به في هذه النشأة المادية من
الجهالات . . .

نسيت الفطره الميثاق الالهى ، وقد غشيتها حجب الدنيا
فحالت بينها وبين الحقيقه .

فيأتى الأنبياء (ع) لينبها هذه الفطره وليحفظوها وليرفعوا
هذه الحجب عنها ، حجب الضلالات والجهالات لتبقى مشرقه بنور
ربها ، عامره بالايان ببارئها ، تهتدي بسبيل الحق دون دروب
الانحراف . وهذه الفطره وهذا الميثاق وهذه الامانه الكبرى - مهما
شئت فعبر - هي التي تشير اليها تلك الآيات والروايات وهي
مودعه من قبل الله سبحانه وتعالى في خلقه الانسان - عندما خلقه
وسواه ونفخ فيه من روحه - فهي من مستلزمات تلك النفحه والنفحه
الريانيه التي أودعت في صميم هذا الانسان فأصبح بذلك متطلعا الى
مبدأ الكمال والى مبدأ تلك النفحه وهو الله سبحانه وتعالى مصدر كل
الكمال ومبدئه ومنتهاه .



النحو الثانى - من الاستدلال والاثبات الفطري لوجود الله
سبحانه وتعالى ((دعوى البدايه)) أي ان الله سبحانه وتعالى

بديهى الوجود والظهور ، بل هو الظاهر وليس غيره ظاهرا .

انّ الانسان منذ أن يولد ، يولد فاقدًا للحس والعقل والادراك
الفعلى وان كان مزودًا بالقوه بالادراك . حينما يولد يألف ما حوله من
الكائنات والموجودات ، فهو ينمو ويكبر وقد ألف هذه الموجودات جميعا
وكأنها أمور طبيعیه مألوفه لديه لا يدرك أنها تدل على خالق لها ،
وموجد مبدع ابتدأها . . .

الانسان حينما يعثر على ورقه فى منطقہ ما ، ومكتوب
فيها قصيده من الشعر الموزون ، لا يشك - بمجرد أن يراها - ان
هناك مَنْ كتبها ونظم أبياتها ، وانها لم تأت جزافا بل أن هناك مَنْ
خطها ، ممن كان عالما واعيا وعارفا باللغه والشعر .

أي ان الانسان هنا يرفض الصدفة ، فى عمله ايجاد هذه
الكتابه ، بل يؤمن ان لها مسببا وموجدا ، قد خط حروفها ، وحاك
عباراتها ، عن قصد وادراك ووعى .

وما يوجد حول الانسان من الموجودات والكائنات البدعيه
الدقيقه ، كلها فى درجه من التعقيد والابداع والدقه ، ما يفوق كل
ما يجده الانسان من وجودات غير طبيعیه كتلك الورقه فى تلك
المنطقه ، . . . الا انّ هذه المخلوقات والموجودات التى

تظهر وجود الله سبحانه وتعالى ، وتدل دلالة واضحة عليه ، قد ألفها الانسان منذ الصغر ، واعتادها وكأنها أمور طبيعية ، فعندما يقف أمامها ، لا يحس ولا يتوجه ذلك التوجه الذي يجده في نفسه حينما يجد شيئاً غريباً من قبيل هذا القرطاس أو هذه الكتابه التي وجدها في تلك المنطقه ، . . . لماذا ؟ لأن هذه الكتابه لم يالفها وهو صغير .

ولهذا قال بعض الحكماء ؛ ان الانسان اذا بقى لا يدرك شيئاً - الى ان تكتمل لديه قوه الادراك - وفجأه يؤتى به الى الدنيا ويدرك ما فيها من المخلوقات والموجودات ، فأول نظره يلقيها على هذه الموجودات من حوله تحصل لديه حاله اليقين والايان بان الله سبحانه موجود ، لأن جميع ما في هذا العالم من الكائنات والموجودات كلها تنادى وتدلّ دلالة صريحه وتظهر وجود الله تبارك وتعالى بالبدايه ، فكل ما هنالك يدلّ عليه ويظهره في الواقع لأنها مظاهر منه واشراقات وافاضات له ، اذا هي تدل عليه قبل أن تكون لها دلالة على نفسها ، تدل على بارئها وخالقها ، . . .

الآن هذه الحاله وهذه الألفه التي ينمو الانسان من خلالها ، في هذه النشأه الماديه ، تمنعه في كثير من الأحيان ، وتوجب حاله من الغفله والألفه المانع له عن التوجه الى هذه الحقيقه الواضحه البديهيه .

يقول بعض الحكماء والعرفاء ، ان من عوامل عدم ظهور ووضوح
بديهيه وجود البارئ عز وجل عند كثير من الناس هو ان الاشياء
تعرف باضدادها فالحاله الاولى ان يكون الشئ خفيا ونتيجة خفائه
المطلق لا يدركه العقل الانساني اما الحاله الثانيه التي تؤدي الي
عدم السرعه في الادراك فهي الظهور المطلق فلو كان هناك شئ ما له
ظهور مطلق يكون هذا الظهور سببا في عدم السرعه في الادراك وان
الله سبحانه وتعالى ، كله ظهور ونور ووجود " بحسب الحقيقسه "
ولا توجد حاله من الحالات التي لا يكون موجودا فيها ، لكي تتمايز
حاله الوجود عن حاله العدم ، وما دام الامر كذلك ، فحينئذ قد
لا يسرع الادراك والتيقن والتصديق بوجوده لدى الانسان .

الانسان انما يدرك النور مثلا من حيث انعدامه ، ومن حيث
الدخول في حاله جديده ، حاله انعدام النور - أي الظلام -
وهكذا التمايز بين الليل والنهار ، . . . كذلك الله سبحانه وتعالى .
فالانسان عندما يتأمل وينظر الى الكائنات والموجودات يجد مظهرا
من مظاهر الوجود في الواقع ، يجد افاضه من الافاضات التي تدل
على فاعلها وموجدها وبارئها ، قبل ان تكون داله على نفسها .

ولا يمكن ان تكون هنالك حاله تنعدم فيها كل هذه الموجودات
- فهذا معناه انعدام وجود الله سبحانه وتعالى - وهو محال
فلشده نوره . . . وظهوره على الوجود ، تكون هناك حاله التوقف

والتأمل ، . . . والآ فمسأله وجود الله سبحانه من المسائل الواضحه
والبديهيه التي لا بد أن يذعن لها العقل بمجرد أن ينظر الانسان
الى نفسه أو يتجاوز دائره نفسه الى الموجودات .

إذا فالنحو الثاني من المنهج الفطري لاثبات الله تعالى ، دعوى
البداهه والظهور ، والواضح ان كل ما فى الكون من موجودات
ومخلوقات – قبل ان تكون دالله على نفسها – تدل على خالقها
وبارئها ، وهذا المعنى نجده فى جملة من كلمات المعصومين
((عليهم السلام)) . فالامام فى نهج البلاغه يقول :

(عجبتم لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله)

وقال فى موضع آخر :
مركز تحقيقات كميونير علوم حسدى

(ان الله تجلى لعباده من غير ان رآوه ، وأراهم نفسه

من غير أن يتجلى لهم)

فهذه العبارات تدل على ان الله سبحانه وتعالى يدرك ويعقل
ويصدق بوجوده من غير رؤيه حسيه ، باعتباره منزها عن الاحساس به
ولكنه متجلّ وظاهر بنوره ، فانه لانور الآ نوره ولا وجود الآ وجوده
الحق ، فهو ظاهر من غير رؤيه . ومن شدة ظهوره ((كالمريى)) ،
ولكن لا بالتجلى فى مكان ومحدوديه لانه لا يشغله شأن ولا تحويبه
النواظر . وقد ذكر (ع) فى تعبير آخر :

(المصروف من هير رؤية)

وللامام الحسين (ع) فى دعاء عرفه كلمات ومقاطع تدل على هذا المنحى الثانى من الاستدلال على وجود الله سبحانه . يقول الامام (ع) فى ذلك الدعاء المبارك :

((كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ، أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هوالمظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك . عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً))

فالامام هنا يريد اثاره الفطره الانسانيه ، أي أنّ الله سبحانه وتعالى له ظهور ووضوح بالبدايه لا يحتاج معها الى الاستدلال والاثبات ، فالذى يريد الاستدلال عليه ، ممكن من الممكنات بذاته وكل ممكن يحتاج الى عله . . . هذا استدلال الممكن على الواجب ، وهذا الممكن هو فى وجوده مفتقر الى الواجب ، فاننا عندما نرى شخصا يتحرك ، ندرك اولا شخص المتحرك من خلال حركته ، ثم نلتفت الى حركته .

فعالما الامكان ، وعالم الموجودات والخلائق – فى الواقع –

ليس هو الوجود الحقيقي ، بل هو الوجود الظلّي . . المنك
.. المفتقر ، وهو افاضه من مبدأ الخلق ومصدره .

فالله سبحانه وتعالى له الوجود الاقوى . . الوجود الذي
هو الحقيقيه والواقع والكنه والجوهر وماعداه ليس الا اشراقات وافاضات
وظلال لذلك الوجود . فالامام في هذا الدعاء يثبت هذه الحقيقيه
ويؤكد أنّ الباريء دائم الظهور ، ودائم النور ، ولا يعقل ان يوجد
مكان لا يكون لله فيه ظهور ، فهو حاضر بالبداهه والوضوح ، فلا
يحتاج الى أن يستدل عليه :

(متى غبت حتى تحتاج الى دليل)

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

بدرهة ظهور الباري ومنازل الإيمان في القلب

اذا كان الله - سبحانه وتعالى - بهذا المستوى من
الظهور والحضور والبداهه ، فينبغي أن يكون للانسان مثل هذه
الدرجه من المعرفه بالله تعالى وادراكه والتصديق به ، حيث لا يرى
غيره ، بل يراه اينما توجه ، بنحو يستقطب مشاعره وعواطفه ليجعلسه
ينظر ويسمع ويعقل ويتحرك بحبه ونوره ، وليكون قبلته الدائمه فسي
التوجهات والآمال . والامام على (ع) يصرّح

(صرأيت شيفا الاء ورأيت الله معه وقبله وبعده وفيه)

هذا النحو واللون من التوجه الى الله سبحانه وتعالى والحضور
والصلة به ، يمثل طرف المعادله السالفه ((بداهه الظهور))
والمعرفه الحقه له .

هذه المعرفه الحقيقيه ، والعرفان الكامل بالله سبحانه يفتح
للانسان آفاقا متقدمه عن الحقائق الكبرى ، ويدل بشكل أكبر وأعظم
على شهود وتصديق بالله ، بحيث لا يرى غيره ، وما يراه لا يعد وعرضا
يراه من خلال الله - سبحانه وتعالى - .

والأنبياء والأئمه والأولياء الصالحاء امتازوا على غيرهم فى هذه
الحقيقه ، از كان توجههم الى الله سبحانه ، لا يرون غيره ، وما عداه
باطل وليس حقيقيا الا بمقدار ما يعبر عن وجود المبدأ ووجود الأصل
والجوهر ، وهو الله تعالى . ومثل هذه المعرفه هى الحقه ، وهى
التي تريدنا السماء أن تتجسد فى النفس الانسانيه كى تشق
طريقها نحو مدارج الكمال ، ولتكون الأنموذج المحدود فى اخلاقها
للأصل والجوهر اللامتناهى فى أخلاقه وصفاته وأنواره .

الانسان يدرك من خلال هذا النحو من المعرفه ، حقيقه الوجود
وأهميته . فمن خلال المنظار الالهى ، تجعله يدرك أن الحقيقه والأصل
والكنه انما هو الله - سبحانه وتعالى - وما يرتبط به ، وأما سواه

فلا يعدو ان يكون شبحا وظلا ووهما ومظهرا وصوره ليس فيها أي محتوى ، . . لا يعدو أن يكون افاضه واشراقه من المحتوى الحقيقي . وهذه المعرفة والمشاهدة بالقلب والعقل لله سبحانه هي منشأ تكامل الانسان وسيره نحو لقاء الله ، وهي التي جاءت من اجلها النبوات والرسالات والشرائع . وهي بالتالي أعلى منازل الايمان ، وأرقى مدارج الكمال التي يمكن للانسان أن يصل اليها .



الحبه وليدة المعرفة

الانسان اذا ما أدرك هذا النحو من المعرفة الحقيقيه . . المعرفة التي بلغها الأنبياء والأئمة - وهذا محال بحسب الواقع - والتي جعلتهم لا يدركون غير الله - سبحانه وتعالى - ادراكا واقعيًا وعقليًا وعاطفيًا . فان هذه المعرفة تولد حبا وتعلقا صميميا بالله . . حبا يمتلك محتوى الانسان ، ويأسر لبه وقلبه ، وتجعل سجاياه وفق اراده الله سبحانه ، ليصبح منه واليه ، ذائبا فيه ونفسا نجواه ليرتشف من مناهل حبه ، ما يطفى سعير قلبه المحترق شوقا اليه ، هذا الحب يتجسد في شخص المعصوم بشكل واضح ، وتظهره حالاته المختلفه .

فعندما يقول النبي (ص) للامام علي (ع) :

(ما عرف الله الا أنا وأنت)

يقصد هذه المرتبة من المعرفة ، لا المعرفة بمعنى اقامه الدليل والتصديق النظري على وجود الله سبحانه ، فانه تصديق اجمالى مبهم . وهناك تصديق وعلم حيوي يؤثر على مشاعر الانسان . . على عواطفه . . هذا الذي نجده عند المعصوم ، حيث يمكنه من مشاهد حقيقه المبدأ — مشاهد قلبيه وعقليه — لذلك يصرح الرسول الكريم (ص) : ان تلك المرتبه مختصه بى وبك يا على . فلقد كانت لهما تلك الدرجه من التعلق بالله تعالى ، الدرجه التى ما بعدها درجه تعرف فى قاموس المعرفة الانسانيه ومراتبها ومنازلها . فاذا توجهها لأداء عبادته ما ، أخذتهما الصفه . . واستعدا للصعقه ، واذا ما وقفنا بين يدي حبيبهم الأوحى تراهما يذويان فى بوتقة حبسه وذكره ، يستشعران طعم مناجاته بصدق . . ويفقدان بعدها مرتبه الاحساس بالدنيا وعواقبها . .

يفنيان فى قبلتهما التى وجّها قلوبهما شطرها . . لتأخذ بهما الى أجواء الطهر والنقاء ، حيث النور الالهى . . واللقاء الربانى . هذه المرتبه من المعرفة التى تجعلهما لا يريان غير الله — سبحانه وتعالى — ، هى قمة المعرفة الممكنه لهذا المخلوق، التى ماوراءها مرتبه ودرجه للمعرفة واللقاء والدنو منه تعالى . .
(ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى)

إذا فهذه المرتبه من الحب ، تنشأ من تلك المرتبه من المعرفه .
وكلما كانت المعرفه أعمق . . كانت المشاهده الحقيقيه والعقليه
والروحيه لله – سبحانه وتعالى – أدق وأسمى ، وبالتالي نفس
الدرجه من الحب والتعلق بالله تكون مترسخه في الذات الانسانيه .

أما القلب الذي لا يعرف الله بتلك المرتبه – انما يعرفه معرفه
اجماليه – سوف لا يكون فيه نصيب من الحب الحقيقي لله تعالى ، فتراه
ترايبى الطباع والمشاعر والآمال . لا تتسع دائره محبته ومعرفته عسـن
هذا النطاق المادي وما يتصل به ، فيخلد الى الأرض دون السماء .



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي



المنهج الاستقرائي

هو أحد مناهج الاستدلال على اثبات الصانع الحكيم – سبحانه وتعالى – وهو في شيوعه ووضوحه يساوق المنهج الاول (الفطري) .
ومنحى هذا المنهج لاثبات الصانع ، يقوم على أساس الآيات والآثار التي تدل على الحكمة في الصنع والتدبير في الخلق ، والتي تسدل بدورها على وجود الصانع (وجود الله سبحانه وتعالى) .

فالدليل الاستقرائي العلمي ، يساوق المنهج والاستدلال المنطقي الذي يواجهه الانسان حينما يثبت أیه حقيقه علمیه أو نظريه تجريبیه . فنحن نعلم أن العلوم والنظريات العلمیه من المسائل التي تمتلك استدلالا يسمى في علم المنطق وعلم الاستدلال (بالاستقراء والتجربه) . أي مثلا : عندما أثبتوا أن الحديد أو الفلزات تتمدد بالحراره .

كيف تم هذا اللون من الاثبات لهذه الحقيقه العلميه ؟

أثبتوها على أساس مشاهدات وملاحظات واستقراء وتجربة ، حيث
جاءوا بقطعه من الحديد ووجهوا اليها الحرارة مره ومرتين وثلاثا ،
فوجدوها تتمدد فى جميع المرات ، فاستنتجوا من ذلك قانونا كلياً: هو
أن الحديد يتمدد بالحرارة .

هذا وأن جميع الخواص والقوانين الكيمائية والفيزيائية والفلكيه
والطبيعيه - والتي أصبحت اليوم من البديهيات والواضحات
والمسلّمات - منهج الاثبات فيها هو منهج الاستدلال العلمى ، أي
(الاستقراءى) * .

ان جوهر الاستدلال بالملاحظه والاستقراء والتجربه ، يبتنى :
انه كلما وجد الفكر البشري ظاهرتين متقارنتين ، احدهما مع الاخرى
تتكرر ، بحيث كلما وجدت الظاهره الاولى تحققت الظاهره الثانويه

* كان التصور السائد فيما سبق ، ان المنهج الاستقراءى يختص باثبات
النظريات العلميه ، وسجاله الحقول الماديه التى يمكن مشاهدتها وملاحظه آثارها
ولا يمكن من خلال هذا المنهج اثبات وجود عالم الغيب والمبدأ الاول الذى هو مسأ
وراء الماده . وقد وجد فى تاريخ العلم والفلسفه الكثير من الاتجاهات التى نادت
بالاقتصار على المنهج العلمى للاستدلال ، فاتجهت الى ان تنكر التوحيد ومبدأ
ماوراء الماده ، باعتبار ان المنهج العلمى يختص بحقل الماده والتجربه فقط . . .

الآن سيدنا الشهيد الصدر ((رض)) فى كتابه ، الاسس المنطقيه للاستقراء
اثبت حقيقه قيمه ومن اروع ما انتهت اليه المدرسه الاسلاميه ، وهى ان المنهج
الاستقراءى ذاته يمكن ان يكون مصدرا لاثبات الله سبحانه وتعالى ، بنفس الطريقه

أيضا .

ففى مثل هذه الحاله ، سوف يؤمن الذهن البشري بوجود علاقه بين هاتين الظاهرتين . وان الظاهره الأولى لها ارتباط بالظاهره الثانيه ، إمّا علّه للظاهره الثانيه ، أو كلتاهما معلولتان لعلّه ثالثه بحسب اصطلاح الفلاسفه .

والذهن البشري ينفى افتراض أن يكون اقتران الظاهرتين من باب الصدفة ، ومن باب الاتفاق ، مع تكرار نفس الظاهره والنتيجه ، كظاهره تقارن الاحتراق بالنار ، أو التمدد بالحراره للغلزات . بل يؤمن - الذهن - ويعتقد أن هناك علاقه بين الظاهرتين المتقارنتين ، ويستدل بأن هذه الظاهره علّه لتلك ، أو هناك نكته مشتركه تقتضيهما معا .

التي تثبت من خلالها الحقائق العلميه المجرده ، ولعلها المحاوله الأولى فى تاريخ الفكر الدينى والفلسفه الالهيه هذه التي ذهب اليها سيدنا الشهيد الصدر فقد استدل بهذا المنهج على اثبات وجود الله سبحانه وتعالى بنفس القوه والاسس المنطقيه التي يستدل بها لاثبات حقيقه علميه ربما تكون من المسلمات . . .

وبهذا اوضح انه لا يمكن الفصل بين العلم والايمان ، فاما ان ينكر الانسان كل النظريات العلميه ولا يعتقد حينئذ ولا يحصل له تصديق وجزم بأى نظريه علميه مسلمه ويدعيه ، أو اذا آمن بصحة الاستدلال والمنهج العلمى لاثبات أى نظريه بحيث تكون حقيقه من الحقائق العلميه ، فلا بد ان يؤمن ايضا بنفس الدرجه - بل بأقوى منها - بالله سبحانه وتعالى ، لان الاساس المنطقى للعلم والايمان واحد وهو الاستقراء .

فلو افترضنا ، ان قطعته من الحديد بمجرد ملاستها للحراره -
وبعد فتره زمنيّه - قد تمدّدت وحصلت تلك الخواص والحالات المعروفه
فقد نحتمل ، في المره الأولى أو الثانيه أو الثالثه أو ... حصولها إتفاقا .

لكن مع تكرار الحاله والنتيجه ، وتكرار الأرقام ، سوف ينفى الذهن
البشري باب الاتفاق والصدفه هنا ، وسوف يعمم الاستنتاج الذي
حصل عليه من التقارن بين الظاهرتين ، وهذا الاستنتاج الكلى
المستخلص من الظاهره المتكرره هو (المنهج الاستقرائى) ، والذي
يدل هنا على نفى الصدفه والاتفاق ، فهذه الصدفه بالحساب
الرياضى تكون منفيه لحدّ يبلغ حدّ الصفر فى النهايه ، حيث ان هذا
الاتفاق له صور عديده ، قد يتفق فقط فى الصوره الأولى ، أو قد يتفق
فقط فى الصوره الثانيه ، أو قد يتفق فقط فى الصوره الثالثه ، وهكذا
. . أما افتراض أنها تتفق فى كل هذه المرّات ، هذا الاتفاق فى
نفسه فرضيه أو احتمال ، هو الذي يسمى بالصدفه النسبيه وهو الذي
ينفيه المنهج العلمى ومنطق الاستقراء .

انّ الانسان عندما يأخذ أيّ عينه من العينات الموجوده فى
الكون ، يأخذ خليه واحده مثلا من الكائنات العضويه ، أو جزيئته
للکائن غير العضوى ، ويدقق فيها ، يجد ان ما تحتويه من التركيبات
المعقدّه المقترنه بتكوينها ، تمتلك من الدقه ومن الترابط المؤثر بين
أجزائها ، ما يحمل الانسان على الدهشه والحيره ، . . هذه الخليه لو

أردنا أن نرجع مكوناتها هذه الى الصدفة ، قد نفترض ان مكوناتها وظواهرها قد اجتمعت اتفاقا مع الظاهره الاولى والثانيه والثالثه . . . ، بهذا الترتيب دون وجود أي مسبب أو أي مبدأ ربط بين هاتين الظاهرتين بوعي وادراك ، هذا الافتراض قيمته الاحتماليه ، واحد من ملايين من الاحتمالات ، والافتراضات التي تستلزم افتراضات - بحساب الاحتمالات - تبلغ الملايين ، تكون منفيه .

هذا المبدأ المنطقي والرياضي ينفي احتمال الصدفة والاتفاق للظواهر الأخرى ، بنفس الدرجه التي ينفي فيها اتفاق الظواهر المتعدده عشوائيا ، بالنسبه لتمدد الحديد أو احراق النار . فنفي الصدفة لظاهرتين صغيرتين يقرها الذهن البشري ، ولا يقول بوقوعها اتفاقا . فكيف بهذه الظواهر الكونيه والطبيعيه وغيرها ، والتي لها من الدقه والحكمه ما لا يمكن للذهن الانساني حصره وبيانه !

القرآن الكريم يشير الى هذه الحقيقه ، ويثبتها ، ويحاول ان ينبه الذهن البشري اليها ، عن طريق العديد من الآيات التي تشير لهذا المعنى منها :

(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت

والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت)

(الغاشيه : ١٧ - ٢٠)

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس
تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن
تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

(يس : ٣٧ - ٤٠)

(افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما
لها من فروع . والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج)

مركز تحقيقات كميّة علوم إسلاميّة (ق : ٦ - ٧)

فهى دعوه تأمل وتفكر فى آيات الصنع والابداع والتناسق والتنظم
الموجودة فى الكون والخلق والطبيعه ، فان كل عينه من عينات عالم
الوجود وما فيها من الابداع والنظم والدقه والتناسب ، يكفى لاثبات
وجود مدبر حكيم ، استطاع أن يوجد ويخلق هذه العينه بعوسى
وادراك ، وكل الوجود قد أوجده بقصد وحكمه .

والامام (ع) فى نهج البلاغه يشير الى هذا المنهج كثيرا
ايضا ، ويتعرض لمسأله اثبات وجود الله سبحانه من خلال هذا

المنهج ، ويوجه الذهن البشري الى آيات قدره الله وابداعه
فى الكون ، فهو (ع) يتعرض لخلق السماوات والارض والبحار
والطاووس والنملة ، . . والى الكثير من آيات الابداع والدقه فى الصنع
والايجاد ، . .

يقول (ع) :

(ولو فحروا فى عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا الى
الطريق وخافوا عذاب الحريق . ولكن القلوب عليّة ، والبصائر
مدخولة ! ألا ينظرون الى صغير ما خلق ، كيف أحكم خلقه ، وأتقن
تركيبه ، وفلق له السمع والبصر ، وسوى له العظم والبشر !
انظروا الى النملة فى صغر جثتها ، ولطافة هيئتها ، لا
تكاد تُنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على
أرضها ، وضبت على رزقها ، تنقل الحبة الى جحرها ، وتُعِدّها فى
مستقرّها . تجمع فى حرّها لبردها ، وفي وريدها لِمَدْرِهَا مكفول
هرزقها ، مرزوقة بوفيقها ، لا يغفلها المئان ، ولا يحرمها
الديان ، ولو فى الصفا اليابس ، والحجر الجامس ! ولو فكرت فى
مجارى أكلها ، فى علوها وسفلها ، وما فى الجوف من شراسيف
بطنها ، وما فى الرأس من عينها وأذنها ، لقضيت من خلقها
عجبا ، ولقيت من وصفها تعباً ! فتعالى الذى أقامها على
دعائمها ! لم يشركه فى فطرتها فاطر . ولم يُعِينه على خلقها

قادر . ولو ضربت في مذاهب فكريك لتبلغ غاياته ، ما دلتك
الدلالة إلا على أنّ فاطر التَّملةِ هو فاطر التَّخلة ، لدقيق تفصيل
كلّ شيء ، وغامض اختلاف كلِّ حيّ . وما الجليل واللطيف ، والشَّليل
والخفيف ، والقويّ والضعيف ، في خلقه إلا سواهُ (

ثم يضيف الامام (ع) :

(وكذلك السَّماء والهواء ، والرياح والماء . فانظر الى الشمس
والقمر ، والنَّبات والشَّجر ، والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل
والنَّهار ، وتفجّر هذه البحار ، وكثرة هذه الجبال ، وطول
هذه القلال وتفرّق هذه اللّغات ، والألسن المختلفات فالويل لمن
أنكر المقدر ، وجحد المدبّر ! زعموا أنّهم كالنَّبات ما لهم
زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانع ، ولم يلجؤوا الى حجة فيما
ادّعوا ، ولا تحقيق لما ادّعوا ، وهل يكون بناء من غير
بان ، أو جناية من غير جانر !)

(نهج البلاغة : خطبه ١٨٥)

فواضح ان الامام هنا ، يشير الى آيات صنع الله سبحانه وتعالى،
وحكمته ودقيق ابداعه ، ثم يستدل من خلالها ، على وجود الصانع

والمُدبّر الحكيم •

ويبطل بهذا اللون من الاستدلال ، آراء من جحدوا الخالق
المُدبّر ، فنسبوا الخلق والوجود الى الصدفة أو الطبيعة •



تطبيقات للمنج الاستقرائي

في خطبه للامام (ع) :

(واصطفى سبحانه مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ
وعلى تبليغ الرّسالةِ أمانتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ
إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ، وَاجْتَالَتْهُمْ
الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَاقْتَنَطَعْتَهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ
رُسُلَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ ، لِيَسْتَأْذِنَهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيَذَكِّرَهُمْ
مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دِفَائِنَ
العُقُولِ ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المَقْدَرَةِ : مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِيهَادِ
تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشِ تُحْيِيهِمْ ، وَأَجَالِ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابِ
شَهْرِهِمْ ، وَأَحْدَاثِ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ
مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حِجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ حِجَّةٍ قَائِمَةٍ
رَسُلًا لَاتَقْصُرَ بِهِمْ قَلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةُ المَكْذِبِينَ لَهُمْ : مِنْ سَابِقِ

سَقِيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرَ هَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ : عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ
وَمَضَتِ الدَّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْإِبْنَاءُ .

(نهج البلاغه : الخطبه الأولى)

في هذه الخطبه يجمع الامام (ع) بنحو الاشاره بين السوان
الاستدلال على اثبات وجود الله سبحانه وتعالى من الفطره والعقل
والمنهج الاستقرائي بلحاظ العالم وما فيه من آيات المقدره والابداع
الالهى . . .

وبلحاظ الانبياء ومعجزهم وعددهم وسلوكيتهم وصفاتهم
وأخلاقهم ، فان هناك تطبيقات عديده للمنهج الاستقرائي اولها
وأهمها ، التطبيق الذي شرحناه حتى الآن ، واستعرضنا فيه
الآيات الكريمه ، وكلمات الامام (ع) من نهج البلاغه .

وهناك تطبيقات أخرى لهذا المنهج ، بلحاظ الانبياء (عليهم
السلام) الذين هم رسل الله سبحانه ، وحججه وآياته التي تسدل
عليه يشير اليها الامام في هذه الخطبه . . .

وهذه التطبيقات لهذا المنهج على الانبياء ، تكون بأحد

ثلاثة وجوه :

التطبيق الاول

معاجز الأنبياء

الاستدلال بالمعجزه — هو فى الحقيقه — من تطبيقات المنهج الاستقرائى ، فان الله سبحانه يجرى على أيدي أنبيائه الكثير من المعاجز ، والمعجزه فى الواقع ، دليل من أدله اثبات الله سبحانه وتعالى ، واثبات صدق دعوى مدعى النبوه ، وهو النبى الذى تجرى على يديه المعجزه ، . . .

والمعجزه لاتعنى ايجاد ما لا يمكن أن يكون ، وتحقيق أمر يكون محالا عقلا — فمثل هذا المحال لا يمكن أن يقع سواء عن النبى أو عن غيره — فهى فى حقيقتها ايجاد واجراء نتيجة وحدث على يد النبى ، وهذا الحدث مما لا يمكن أن يحصل ويتحقق بحسب حسابات الاحتمال الآ بنكته خارجه عن الحسابات الطبيعيه ، فليست المعجزه ، بمعنى ان يقع شئ من دون عله ، فانه محال ، والمحال لا يمكن ان يتحقق من أي شخص ، وانما المعجزه تعنى ان يكون هذا العمل أو الحدث

الذي جرى على يد النبي خارقا للعادة والمألوف ، وكونه خارقا للعادة ، يعنى انه بحسب حسابات الاحتمال ، لا يمكن ان يكون هذا الحدث الذي يأتي به النبي ، قد حصل على اساس الطسرق الطبيعيه المعروفه والمألوفه لدى الناس ، فلا بد من نكته اخرى لحصوله ، وهى التى يدعيها صاحب المعجزه من اراده الله سبحانه وتعالى ، . . . اراده عالم الغيب .

والاستدلال بالمعجزه على صدق دعوى صاحبها تاره يكون على اساس قاعده عقليه ، هى من مدركات العقل العملى ، وهى ان الاعجاز لا يمكن ان يجريه الله سبحانه على يد انسان كاذب وهذا المنهج من الاستدلال الذي انتشهجه بعض العلماء ، انما ينتج ويفيد على تقدير صحته فى نفسه لا ثبات النبوه لا الايمان بالله سبحانه لانه بنفسه متوقف على افتراض وجود الله سبحانه وتعالى فى المرتبسه السابقه .

واخرى يكون على اساس ان ما وقع وجرى على يد النبي ، لا يمكن ان يكون الا بافتراض وجود الله سبحانه ، والا كان من قبيل وجود حادث بلا عله له ، فلا بد أن تكون علة اراده الله ومشيئته ، والا كان من الصدفة المنفيه بحكم المنطق الاستقرائى والعقلى معا .

وعلى اساس هذا التقدير تكون المعجزه بنفسها دليلا على اثبات الصانع ، والمبدأ الاعلى جل وعلا .

التطبيق الثاني

تواتر الأنبياء

إن استقراء التاريخ يوضح لنا العدد الضخم للأنبياء في المسيره البشرية وكذلك وحدة كلمتهم ومدعاهم ، ويلحق به أيضا الترابط الموجود بين ما بشروا به من الرسالات والديانات .

فهذا التواتر للأنبياء ، بنفسه حججه ودليل على صدق دعوى بعثهم من قبل الله سبحانه وتعالى ، هذا وإن الأنبياء (ع) كانوا من خيره الناس وأفضلهم وأكملهم ، وعيا وادراكا ورشدا وابتعادا عن الأهواء والحيل ، فعندما ينظر الانسان لهؤلاء الأنبياء ، هذه الكثره الكثره التي تمتاز بالعصمه والكمال ، وكلهم يدعون دعوى واحده ، ويبشرون بوجود اله واحد وينقلون عن هذا الاله الواحد ، الشرائع والرسالات ، حينئذ كل عقل سليم ، ومنطق استقرائي غير مظلل ، يقف أمام هذا الركب الهائل من الأنبياء - الذي يمثل الصفوه البشريه ، والمناديه بحقيقه واحده - موقف المؤمن بصحه المدعى اليه .

فعندما نُخبر من قبل عشرة أشخاص ثقات مثلا ، بوقوع أمر ما
نؤمن ونعتقد بهذا القول ، فكيف بمئه وأربعه وعشرين
ألف نبي ، هذا الركب المبارك ، والذي يمتاز بأروع الخصال الانسانيه
واكملها وعيا ورشدا وعقلا ، وهم ينادون بالتوحيد ، وان هناك الها
لهذا العالم ، وهو فوق هذا العالم ومن ورائه ، وانه هو مبدأ الوجود
وأصله وبارئه ، كيف لا يحصل اليقين والتصديق والايان هنا بصحة
مايقولون ؟ !!

فالمنهج الاستقرائي ، يجري هنا ايضا لاثبات حقيقه المبدأ
الأول جلّ وعلا .



مركز تحقيقات كائنات وعلوم اسلامی



التطبيق الثالث

سلوكية الأنبياء

إنّ ملاحظه مجموعه الخصال والصفات الحميده المتجسده فى شخص النبى ، أيا كان ، والتي تنطق بالصدق والصلاح والكمال فى كل جوانبها ، وكذلك ملاحظه ماتدعيه هذه الشخصيه من دعوى ، وما تؤمن به من مبادئٍ وقيمٍ ومثلٍ ، تكفى للدلاله على صحه ما تقول من وجود الله سبحانه وتعالى .

فهذه الشخصيه الفذه ، والتي بلغت الذروه فى تطبيقها للكمالات الممكنه بحق البشر ، تكفى للدلاله من خلالها ، ومن خلال دعواها ، الى اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، والتي ما انفكت تركز على الايمان به ، والاعتقاد بوجوده جلّ شأنه .

وأكثر الذين آمنوا بصحه الرسالات والديانات ، كانوا ممن تأثروا بهذا الجانب من شخصيه الانبياء والرسول وعن طريق معاشتهم لسلكيتهم ، وما رأوه من حميد الصفات والخصال والاخلاق ، ومن

دلائل الصدق والصلاح فيما يدعونه ، ومن دلائل العظمة والرقى
فيما جاؤوا به من شرائع وكتب ومقولات ، فلقد لمسوا من خلال معاشتهم
لركب الأنبياء ، وما كانوا يجدونه في رمزهم المبارك ، مما يدعم صحة
ما يدعونه . والآ فالدله الفلسفيه النظرية والبرهانیه التي يقيمها
الفلاسفه وان كان كثير منها - أو بعضها - أدله صحيحه منطقيا
وعقليا إلا أن الناس لا يركنون الى الايمان بهذه المبادئ الغيبیه
من خلال تلك البراهين فقط ، وإنما أكثر الأدله شيوعا ، هو هذا
الدليل الاستقرائي ، وخصوصا بالنسبه الى الأنبياء ، فان الانسانيه
قد تربت وصنعت على الايمان والاعتقاد بالله سبحانه من خلال
الأنبياء (ع) ، وعن طريق التماس مع سلوكيتهم وأقوالهم
وأثارهم .

مركز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

وعليه فما كان يجده المجتمع المعاصر للنبي محمد (ص)
بالخصوص ، من آيات الرشد والصدق والأمانه والنزاهه ، تلك الصفات
الظاهره النقيه ، والسلوكيه الكامله المكملة والممارسات التي فوق قدره
الناس ، كلها تؤيد صحة ما يدعيه النبي (ص) من المقولات التي
يطرحها حول الحقائق الكبرى في الوجود ، من التوحيد والنبوه
وسائر المعارف الحقه .

فقد كان ذلك بنفسه دليلا وآيه تدل على صدق دعواه ، بل
على عظمه ما يقوله ويبشّر به .

هذه العظمة مستفاده ومستخرجه من خلال تلك السلوكية الصادقة
الطاهرة التي يلمسونها في شخصه المبارك .

فالتاريخ يروي لنا ، ان الرسول (ص) ، في بدايه دعوته ، قد
استفاد من هذه الحقيقه ، لتأييد دينه ورسالته . وقف ذات يوم على
مرتفع ونادى : يا أهل مكه ، اذا أخبرتكم ان وراء هذا الجبل عدوا
يريد العدوان أو الاغاره عليكم فهل تصدقون ، قالوا بلى ، وانت
الصادق الامين ، فقال : انى رسول الله اليكم ، . . .

هذا التصديق من قبل القوم ، جاء مباشره ودون أدنى تردد ،
اعتمادا على تلك السلوكية الكامله المجسده في شخصه الكريم ، ورمزه
الطاهر . فالملاحظ هنا ، انه (ص) لم يطرح لهم أسسا عقائديه ،
توضح ماهيه دعوته ، بل اعتمد على الرصيد الضخم الذي يمتلكه عند
الامه ، من سمو الخلق ، وكمال السلوك ، وجعل هذه السلوكية بابا
لدعوته ورسالته ، دون الادله والبراهين والاستدلالات .

(أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين)

(الأعراف : ١٨٤)

ولا يقتصر هذا التطبيق على سلوكيه النبي (ص) الشخصيه بل

على سلوكيته الرساليه والسياسيه ايضا ، فان المسلمين من خلال تفاعلهم مع النبي كقائد وكصاحب رساله ومهمه اجتماعيه تغييريه ، وما كان يطرحه في هذا المجال من مقولات وقيم سياسيه واجتماعيه يسعى الى تحقيقها وانجازها في واقع الامه ، وواقع الحياه ، وما كان يتنباه تجاه مستقبل الرساله والتجربه الرساليه ، بل ما كان يمارسه في القيادة على افضل وأحكم صورته ، وما كان يراه الناس من واقعيه في الارتباط بينه وبين الله سبحانه وتعالى في خضم التجربه الدقيقه ، كل ذلك أوجب انعان الناس لا يصدقوا واخلص النبي (ص) فيما يدعيه فحسب ، بل بعظمته واعجازه في كل تصرف من تصرفاته ، واثر من آثار وجوده المبارك . والواقع ان هذه المعاييشه والمشاهد هي اساس ايمان البشر بالانبياء ، ورسالاتهم . فالناس يتفاعلون مع الواقعيات ويتأثرون بالتطبيق والتجسيد اكثر مما يتأثرون بالادعاءات والنظريات ، ولا اشكال في ان نجاح الانبياء وموفقيتهم في ايجاد التحولات والتغيرات الاجتماعيه الكبرى في تاريخ البشر وانتصارهم في صراعهم السياسي مع الباطل والطاغوت ، وتحقق طموحاتهم ومدعياتهم في حياتهم او بعد وفاتهم واصرارهم البليغ على متبنياتهم ، كل ذلك له الاثر الابليغ في كسب الناس لهم ، وايمانهم بهم ومدعياتهم ومقولاتهم .



المنهج الفلسفي

المنهج الفلسفي للاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى ،
له تقريبات وبيانات عديدة ، ينطلق كل بيان منها من نقطه خاصه
بالرغم من اشتراك كل هذه التقريبات في روح الاستدلال وجوهه
الاساسي ، حيث تعتمد جميعا على مبدأ العليّه .

التقريب الاول

دليل الامكان

وهو ان الشيء إما واجب الوجود او ممتنع الوجود أو ممكن الوجود ، ولا اشكال في وجود الاول وامتناع الثاني ، واما الثالث وهو ممكن الوجود - الذي يكون كل من وجوده وعدمه سواء - فوجوده بحاجة الى مرجح يخرجه عن الامكان الى الوجود بالغير ، أي بالعله

والآ يلزم الخُلف، وهذا هو معنى القاعده المعروفه (ان الشيء ما لم يجب لم يوجد) ، فاذا ثبت في حق موجود أنه ممكن الوجود ، ثبت أن له موجدا قد أوجده ، والعالم بما فيه من تغيرات وحدث بعد عدم ، ممكن الوجود لا محاله ، لان الواجب لا يكون متغيرا ، فلا بد له من موجد وعله ، وهذه العله يستحيل ان تكون لها عله أخرى وهكذا ، لانه يلزم أما الدور أو التسلسل وكلاهما محال . . .

فالدليل الأول يتألف من الصغرى والكبرى ، الصغرى ان العالم وما فيه من المشهودات والمحسوسات ، عالم متغير فهو ممكن . والكبرى ان كل ممكن لا بد له من عله ، حسب قانون العليه . واستفاده من هذا التقسيم الثلاثى للأشياء (الواجب ، الممكن ، الممتنع) ، فلا بد أن يكون لكل ممكن عله وأوجدته وأوجدت كل هذه الممكنات المتغيره .

التقريب الثاني

دليل الحركة

وينطلق في اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، من صغرى أخرى وكبرى مشتركة بين نفس الكبرى في دليل الامكان . وهو ان كل ممكن يحاجه الى عله ، . . . الا ان الصغرى تختلف هنا ، حيث تطبق الكبرى – كبرى دليل الامكان – والتي هي عبارته عن مبدأ العليه

على الحركة ، فلاشكال ان فى عالم الوجود ألوانا متعددة من الحركة ، اما حركة مكانيه ، او حركة زمانيه ، او حركة كيفيه ، او حركة نوعيه ، . . . فالوجود المادي الممكن يزخر بانواع من الحركة ، وهذه الحركة لا يمكن ان تكون من دون محرك ، فلكل حركة محرك ، وهذا يكشف ويدل عقليا وفلسفيا على وجود محرك وهو الله سبحانه وتعالى .

التقريب الثالث

دليل التكامل

ينطلق هذا الدليل ، من قاعدة بديهيه ومصادره عقليه ، وهى ان فاقد الشئ لا يعطيه ، فهذه القاعدة الفلسفيه ، يستند اليها فى اثبات الله سبحانه وتعالى بتقريب ان الموجودات متكامله ، ومتفاوته فى سلم التكامل ، فالكائن العضوي أكمل من الكائن غير العضوي ، والنبات أكمل من الجماد ، والحيوان أكمل من النبات ، والانسان أكمل من الحيوان ، . . .

هذه الحركة التكاملية هنا بحاجة الى عله ، فالتقدم والتكامل فى سلم النمو والحركة ، لا يمكن ان يصدر عفويا ، فهو تكامل هادف ، ويستحيل ان يتحقق من دون توجيه وتخطيط من مبدأ الكمال ومصدره وهو الله جل شأنه ، فالكائنات والموجودات غير العضويه مثلا لا يمكنها

أن تهيب الحياه والتكامل نحو الافضل ، لانها فى نفسها فاقده
للحياه ، فكيف تولد مرتبه أسمى وأرقى ؟ !!

إذا بحسب قاعده ان فاقد الشئ لا يعطيه ، نستدل على وجود
كائن آخر ، هو الذي يهب هذه الحركه التكاملية ، ويأخذ بزمام
الممكنات نحو مدارج أكمل ، ومنازل أرقى وأسمى تتناسب والحكمه
الموضوعه ، . . وهذا الكائن هو عين الكمال ، وعين الحياه ، وعين
الحكمه والعلم والقدرة .



ما تقدم من التقريبات والادله ، تعتمد نقطه مركزيه ، ومقدمه
اساسيه ، وهى ان الوجود بمختلف مراتبه لا يمكن ان يحدث من
لاشئ ، وقد عبر الامام (ع) عن هذه النكته بقوله :

(هل يكون بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان)

وهى اشاره الى مبدأ العليه فى قاموس الوجود .



حقيقتان .. هما الجوهر

الحقيقة الأولى إن هذه المناهج الثلاثة - الفطري والاستقرائي الأولى - والفلسفي - توجب حالة من اليقين والتصديق بوجود الله سبحانه وتعالى لكل متأمل ومتأمل صادق ، همه البحث عن الحقيقه والكنه . فهي تدلّه بوضوح على مبدأ الكمال .. على الأزل والحكمه والقدرة ، ..

الآن ان هذا ليس كل الهدف ، وكل الايمان والمعرفه ، فسان الاسلام لا يريد من الموحدين سبر غور الادله والبراهين على وجود الله سبحانه ، كالذي يبتغيه الفلاسفه والمتكلمون ، بل يريد حقيقه الايمان ، تلك التي تستقطب آمال وتوجهات الانسان ، أي ان يعيش الايمان بقلبه وروحه ، لا بفكره وعقله فقط ، ان يخالط هذا الاعتقاد كل جوانحه ، فلا يتفاعل ويتجاذب الا من خلال هذه النافذه ، أي النهى فى الفكر والاعتقاد ، والنهى فى السلوك والمواقف والآمال .

ومثل هذا الايمان ، هو الذي يصنع الانسان ويرببه على حقيقته
مقولات السماء ، وبه يستكشف بواطن الحقائق ، ويسبر ماهية الوجود ،
ليصل الى منهل المعرفة الحقه ، . . .

وهذا ما أكدت عليه الشرائع والرسالات السماويه فى محاولتها
لربط الانسانيه بهذا البعد الثانى من المعرفة ، . . . فان هذا اللون
من المعرفة هو الضمان الوحيد لاستقامه المسيره البشرى ، لانـه
يرتبط بالجانب الحى من الحقائق ، الجانب الذي يؤثر سلباً أو ايجاباً
على كل مفردات الحياه فى حاضرها ومستقبلها فالرسالات وحملتها
الابرار ، لا تريد معايشه نظريه للمفاهيم والمبادئ ، ساحتها الذهن
المجرد ، بل تريد للمفاهيم والقيم والحقائق ، أن تفتش بيـداء
القلب ، وتملك عقال المشاعر ، . . . فبعيش الانسان الفكره ، نظرياً
ويتجاذب ويتفاعل معها عملياً ، أي تكون فكره اعتقاديـه وسلوكيـه
تحاكي عقله ، وتناغى مشاعره واحاسيسه .

الانبياء ((عليهم السلام)) يضمنون لنا هذا البعد ، فهم
يدلّون السائرين على المعرفة الحقه بالله سبحانه ، ويرسمون امامهم
السبل بوضوح ، ليرتفعوا فى سلم العرفان ، . . . بخلاف الفلاسفه ،
فهم يتعاملون ويتجاذبون مع العقول ، لامع القلوب . وإحكام العلاقه
مع العقل دون القلب ، أمر خطير سرعان ما يفصل الامه عن حقلها
العملى فى ممارساتها الحياتيه ، فتكون امه معتقده ، لكنها خاويه

راكده ، ضعيفه الاراده والموقف ، . . أمه تدرك الاطار دون المحتوى
والمضمون ، أي أمه قشريه جوفاء .



الحقيقة هناك حقيقه أخرى جليّه ، تشكل نقطه فارقه بين منهج
الثانية الأنبياء (ع) فى التربيه والصنع ، وبين منهج الفلاسفه
مفادها ان الأنبياء (ع) لا يطرحون فكره وجود الله والايان بالغيب
طرحا جافا حديثا ، بل تطرح بشكل عاطفى عملى ، . . بخلاف
الفلاسفه ، فهم يطرحون العقولات ، بشكل فلسفى ، تشعر المرء ان
هذه العقولات من سنخ آخر مجردة عنه وعن عالمه ، بعيدة عن الاثر
العملى ، فى حين ان الانبياء يضيفون الى علاقه المعرفه ، علاقه
المحبه والود ، . . والقرآن يجعل الصله بين الانسان المؤمن الموحد
وبين الله سبحانه ، صله محبه ((يحبهم ويحبونه)) . .

ولا يكتفى القرآن والانبياء (ع) ، بان تطرح المبادئ ، طرحا
نظريا مجردا ، بل تطرح مع علاقات انسانيه وروحيه خاصه . هذه
العلاقات تجعل لهذه المعارف والقيم والنظريات مدلول عمليا ، لأن
الانسان فى الواقع لا يدفعه الى الأعمال والمواقف ، النظريات
المجردة . فالانسان ليس عقلا مجردا ، تخضع حركاته وسكناته
ومواقفه لهذا العقل المجرد فحسب ، بل تنشأ أيضا من مجموعته

العواطف والاحاسيس والمشاعر ، . . المدركات العقلية ، لا بد أن تنزل لعالم القلب والرغبه والميل ، كيما تحرك الانسان الى اتخاذ موقف معين ، ولهذا يقول الفلاسفه ، ان الاراده تعنى الشوق المؤكد . . . هذا الشوق المؤكد لا بد أن يكون وراء كل حركه وفعل وموقف وسلوك يصدر عن الانسان ، فاذا بقيت النظريات التوحيديه ، مجردة وبعيده عن عالم القلب والعاطفه ، عندها لا تكون مربيه وصانعه للانسان ، بل مجرد أفكار عالقه في الذهن .

أضف الى ذلك ان الفكر المجرد ، لا يجعل المؤمن به ، يُقَدِّم على صنوف التضحيه والفداء لمجرد الايمان بالفكره . . . إنما يضحى ويجاهد ويكافح ، عندما تكون الفكره مشحونه بالموده والحب ، . . ولقد ورد في بعض الروايات انه : *سوى*

(هل الدين الا الحب)

فلا بد أن يكون لهذه المعارف رصيد حقيقى قلبى لدى كل انسان موحد ، ولولا هذا لما رزى الركب البشرى الصالح ، ولما قدّموا كل تلك التضحيات من أجل رسالتهم ومن أجل البشره .

اذا فالفارق بين مجموعه الانبياء (ع) والفلاسفه ، يكمن فى

اسلوب العرض والمخاطبه ، فبينما تراعى المجموعه الاولى مخاطبته
ومناجاة العقل والقلب الانسانى ، ومحاكاة العواطف والمشاعر ، يتجه
الفلاسفه لمناغاة العقل والفكر دون القلب والرغبه والميل ، فاستطاعت
الاولى تربيه وهدايه الانسانيه بينما عجزت الثانيه عن ذلك بالرغم من
ان لها المرادين والاتباع ، وأخفقت فى تربيتهم وصنعهم .

وهناك قصه تشير للمعنى المتقدم : -

يقال ان أحد تلامذه ابن سينا ، سأله يوما ، ما الفرق بين
الفلاسفه والانبياء الانبياء انما جاءوا من أجل ان يبشروا بفكره
التوحيد ، ويجعلوا الناس موحدون ومؤمنين بالله سبحانه وتعالى ،
والفلاسفه الموحدون قاموا ايضا بنفس هذا الدور ، فما الفرق بينك
وانت من كبار الفلاسفه الموحدون ، الذين اثبتوا نظريات التوحيد
بأفضل وأدق البراهين والاستدلالات ، وبين النبى (ص) وكيف انك
لم تصبح نبيا ، ؟ إلا ان ابن سينا لم يجب على سؤال تلميذه
الا بعد فتره ، كانا معا فى سفر للذهاب الى بيت الله الحرام ، فى
فصل الشتاء ، وقد كانوا فى ليله من الليالى فى كبد الصحراء ، قد
ركنوا الى مكان ليس ببعيد عن قريه من القرى ، وفى منتصف
الليل أو قبيل طلوع الفجر ، استيقظ ابن سينا وكان عطشانا يطلب
الماء ، فايظ تلميذه ، وسأله أن يجلب الماء له من تلك القريه ،

فتماهل التلميذ ، واعتذر بأن البرد شديد . . . لنتنظر حتى الصباح .
أكد عليه ابن سينا كثيرا في الطلب ، . . . وكان التلميذ يأبى ، وبين
الآخذ والرد في الحوار بين الاستاذ الفيلسوف والتلميذ أذن المؤذن
لصلاه الصبح ، وارتفع صوته يشق أستار الصمت . . . فقال ابن سينا
لتلميذه ، الآن حان جواب سؤالك القديم ، فالفارق بين الانبياء (ع)
والفلاسفه ، ان النبي (ص) وبعد هذه القرون الطويله ، وبرغم
هذا الفاصل الزمنى الكبير ، يحرك الانسان المؤمن ، على ان يخرج
في مثل هذا البرد الشديد ، وفي مثل هذه الساعه من الليل من
رقده ، ليرتقى المأذنه ويؤذن . . . بينما أطلب منك ، وأنا بعد
حى ، ان تأتيني بالماء ، فتعتذر بالبرد الشديد ، . . .

الفارق هنا يكمن في مدى فاعليه المفاهيم والمبادئ في النفس
الانسانيه ، أتكون مجرد مفاهيم تفتش ساحه الذهن ، وتمتطى
العقل في التناول والتفاعل كما يريد الفلاسفه أم تكون فاعله حيه
في العقل والقلب والعاطفه ، تمتلك اعتقاد وسلوك وتوجهات وآمال
الانسان نحو الاهداف الساميه ، كما يبتغيها الانبياء (ع) فى
منهاجهم التربوي .

